



المشيخ/ عبد المجيد المزنداني

﴿قَالَ تَعَالَى: وَأَنْزَلْنَا إِلَّا حَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْ أَفْرَعَ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: 25).

﴿تَتَحَدَّثُ هَذِهِ الْآيَةُ عَنْ وُجُودِ الْحَدِيدِ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا بِعَمْلِيَّةِ إِنْزَالِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا يَسُوقُنَا إِلَى دراسةِ كَيْفِيَّةِ تَكْوِينِ الْحَدِيدِ فِي الْكَوْنِ﴾. وقد درس العلماء المتخصصون هذا الأمر فوجدوا أن 98% من الكون يتكون من الهيدروجين والهليوم وبهما أخف العناصر⁽¹⁾ وأن الماء 2% المباقية تشكل العناصر الأثقل وعددها مائة وخمسة عناصر، مما حمل الدارسين على استنباط حقيقة تكون المواد - الأثقل وزنة ذريًا - من المواد الأخف، وأن ذلك يتم عن طريق الاندماج النووي⁽²⁾ الذي تصحبه طاقة هائلة. ووجد الباحثون أن هناك نجومًا تصل درجة حرارتها من 300 ألف مليون درجة إلى 400 مليون درجة مئوية⁽³⁾ تسمح بأن يتكون الحديد بداخلها.

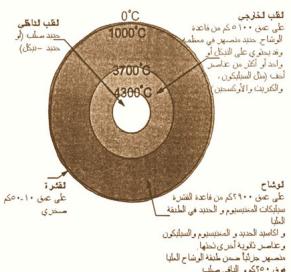
﴿إِنَّا وَصَلَتْ كَمِيَّةُ الْحَدِيدِ إِلَى 50% مِنْ كَتْلَةِ النَّجَمِ وَأَصْبَحَ قَلْبُ النَّجَمِ كَلْهُ حَدِيدًا تَتَوَقَّفُ الْعَمَلِيَّةُ بِالْكَامِلِ وَعِنْدَئِذٍ يَنْفَجِرُ النَّجَمُ، وَإِذَا انْفَجَرَ تَنَاثَرَتْ أَشْلَافُهُ فِي صَفَحةِ الْكَوْنِ وَدَخَلَتْ بِقَدْرِ اللَّهِ فِي مَجَالِ جَاذِبَيْهِ أَجْرَامٌ سَمَاوِيَّةٌ أُخْرَى تَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الْحَدِيدِ، وَنَرَى ذَلِكَ يَحْدُثُ الْآنَ كَمَا ذَرَى نَيَازِكَ حَدِيدِيَّةً تَصْلِي إِلَى الْأَرْضِ مِثْلَ مَا حَدَثَ فِي جَنُوبِ السُّودَانَ حِينَ ذُلِّلَ فِي مَدِينَةِ جُوبَا نَيَازِكَ كَتْلَتِهِ 90 طَنًا، وَأَغْلَبُ النَّيَازِكَ يَحْتَرِقُ بِاحْتِكَاكِهِ بِالْمَغَافِلِ الْغَازِيِّ، وَوَصْولِ (90 طَنًا) مِنَ الْحَدِيدِ الصَّافِي يَعْنِي أَنَّ كَتْلَةَ هَذَا النَّيَازِكَ كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ بِأَضْعَافِ كَثِيرَةٍ﴾.

﴿وَنَحْنُ ذَرَى النَّيَازِكَ الْحَدِيدِيَّةِ تَصْلِي إِلَى الْأَرْضِ وَتَصْلِي إِلَى الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجَمُوعَاتِ الْأُخْرَى، مَا دَفَعَ الْعُلَمَاءَ إِلَى تَصْوِيرِ أَنَّ الْأَرْضَ حِينَما انْفَصَلَتْ عَنِ الشَّمْسِ لَمْ تَكُنْ سَوَى كَوْمَةَ مِنَ الْمَرْمَادِ﴾.

﴿وَيَقُولُ الْمُخْتَصُونَ إِنَّ الْأَرْضَ تَشَكَّلَتْ قَبْلَ أَرْبَعَةِ بِلَيْيَنِ وَنَصْفِ بِلَيْيَنِ عَامٍ وَكَانَتِ النَّيَازِكَ وَالْمَذَنَبَاتِ تَقْصُصُهَا بِشَدَّةٍ وَعَنْفٍ بِحِيثِ كَانَتِ الْمُحَارَةُ الْمُنْبَعِثَةُ مِنْ هَذَا التَّصَادُمِ وَالْمَقْصِفِ - فَائِقُ الْمُسْرَعَةِ - عَظِيمَةٌ لَدَرْجَةٍ تَكُونُ كَافِيَّةً لِإِذَابَةِ الْكَوْكَبِ بِأَكْمَلِهِ﴾.

ثم بدأت الأرض تبرد بعد ذلك واستمرت تبريد إلى اليوم، وأخذت المواد الأكثر كثافة مثل الحديد والقادمة من تلك النيازك طريقها إلى قلب ومركز الأرض، بينما صعدت السيليكات الألخاف وزناً وكذلك مركبات الماء الأخرى والماء المقادم من المذنبات إلى قرب السطح. ويكون الحديد أكثر من 35% من كتلة الأرض حيث تتكون الأرض من قلب صلب من الحديد ثم يليه قلب منصهر أغلبه من الحديد، ثم أربعة أو شحة متمايزة يشكل الحديد فيها نسبة عالية ثم الغلاف الصخري للأرض وفيه نسبة جيدة من الحديد، ويوضح

الشكل (١) الآتي تركيز المعادن في طبقات الأرض المختلفة.



ونلاحظ أن القلب الداخلي يتكون في معظمها من الحديد في حالته الصلبة بينما يتكون القلب الخارجي الذي يحيط به من الحديد و10% من المكبريت، وبهذا يكون الحديد عنصراً مهماً من مكونات طبقات الأرض السبع.

وقال البرفسور آرمسترونج^(٤) أحد مشاهير علم الفلك في أمريكا والذي يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية ذasa حين سأله كيف تكون الحديد أجaby قالاً:

(سأحدكم كيف تكونت كل العناصر على الأرض. لقد اكتشفناها، بل لقد أقمنا عدداً من التجارب لإثبات ما أقوله لكم. إن العناصر المختلفة تجتمع فيها الجسيمات المختلفة من المكترونات وبروتونات وغيرها، لكي تتحدد هذه الجسيمات في ذرة كل عنصر تحتاج إلى طاقة، وعند حسابنا للطاقة المازمة لتكون ذرة الحديد وجدنا أن الطاقة المازمة يجب أن تكون كطاقة المجموعة الشمسية أربع مرات، ولذلك يعتقد العلماء أن الحديد عنصر غريب وفدي الأرض ولم يتكون فيها).

وعند سؤاله متى اكتشف العلماء التجربيين حقيقة إنزال الحديد إلى الأرض؟ قال:

(بأنها لم تعرف عند العلماء التجربيين لما في الرابع الأخير من القرن العشرين وإنه لم يشر أحد من العلماء المتخصصين والباحثين إلى شيء من ذلك، ولم تشر كتب العلم التجربى إلى هذه الحقيقة قبل هذا التاريخ).

إن علماء الفيزياء قد تمكروا من أن يوجدوا عناصر أثقل من عناصر أخف^(٥). واستطاعوا أن يحسبوا الطاقة المازمة لتكون كل عنصر من هذه العناصر وقد وجدوا أن الطاقة المازمة لتكون ذرة واحدة من الحديد تحتاج إلى أربعة أضعاف الطاقة الموجودة في

المجموعة الشمسية مما جعلهم يجزمون بأن الحديد لا يمكن أن يكون قد خلق في الأرض أو في المجموعة الشمسية بل ذايد أن يكون قد خلق في نجم خارج المجموعة الشمسية ونزل إلى الأرض في صورة حديد.

أقوال المفسرين:

وهيما تذرى ما قاله علماء التفسير في هذه الآية:

لقد انقسم المفسرون إلى فريقين:

فمنهم من فسر الملفظ على ظاهره فقالوا:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ بمعنى أن الله أنزل الحديد كما أنزل آدم من السماء إلى الأرض، وهو قول ابن عباس وعكرمة وإليه ذهب الطبراني والمقرطبي والواحدي.

□ ومنهم من اضطر إلى تأويل الملفظ عن ظاهره لاستبعاد إمكانية تصور نزول الحديد إلى الأرض من السماء ولِمَا يشاهدونه في أزمنتهم وببيئتهم من استخراج الحديد من باطن الأرض فقالوا:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ بمعنى إنشائه وخلقناه وهو قول الحسن وإليه ذهب ابن كثير والشعابي والشوكتاني.

ونرى من أقوالهم أنهم أولوا لفظ أنزلنا إلى خلقنا وجعلنا، وفرق بين الإنزال والخلق والمجعل لكنها المعرفة البشرية المحدودة في تلك الأزمنة التي كانت تحمل المفسرين على صرف الملفظ عن ظاهره.

□

وجه الإعجاز:

لم يتمكن الإنسان من معرفة حقيقة أن الحديد نزل من السماء إلى الأرض إلا بعد أن امتلك من الموسائل العلمية ما تمكّن به من معرفة ما جرى ويجري في أعماق النجوم البعيدة لتكوين مادة الحديد.

وبعد أن تمكّن من تحويل بعض العناصر الخفيفة إلى عناصر ثقيلة وحساب ما يحتاج إليه ذلك من طاقة، وعجزه عن تكوين مادة الحديد من مواد أخف منه إذ يتطلب ذلك طاقة تساوى أربعة أضعاف طاقة المجموعة الشمسية. كما أن استخراج البشر للحديد من مناجمه في باطن الأرض جعلهم لا يتوقعون أن يكون الحديد قد نزل من السماء إلى الأرض وحملهم على الاعتقاد بأنه خلق مع سائر العناصر الأرضية. لذلك خلت العلوم التجريبية من أي إشارة إلى هذه الحقيقة قبل الرابع الأخير من القرن العشرين. وكذلك اضطر كثيرون من المفسّرين إلى تأويل الملفظ القرآني (وأنَّ زُلَّنَ الْحَدِيدُ) إلى معنى لا يحتمله الملفظ بما فيه مفسرون معاصرة عاشوا في القرن العشرين. فمن أخبر محمداً؟ بهذه الحقيقة التي لم تعرّفها البشرية إلا في الرابع الأخير من القرن العشرين والتي خفيت عن كل البشر حتى هذا التاريخ، منه؟ لما الذي أنزل الحديد وأنزل القرآن على عبد ليكون للعلميين ذريعاً القائل: (إِنَّ قَدْ أَرَسَ لَنَا رُسُلٌ نَّا بِالْبَيْنَاتِ وَأَنَّزَلَنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا مَنْ أَنْزَلَنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْ أَفْعَلَ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الْمُلْهُهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِالغَيْبِ إِنَّ الْمُلْهُهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحديد: 25).

الموامش:

- يكون غاز الهيدروجين وحده وهو أخف العناصر أكثر من 74% من مادة المكون، يليه في الكثرة غاز الهليوم، ثاني أخف العناصر، الذي يكون أكثر من 24% من مادة المكون
- إن التفاعل الأساسي الذي يولّد كميات الطاقة الهائلة التي تشعها الشمس ومعظم النجوم الأخرى سببه الاندماج النووي لعنصر الهيدروجين وتحوله إلى هيليوم، الذي تندمج ذراته بدورها مكونة عناصر أثقل وصولاً إلى عنصر الحديد.
- بينما لا تزيد درجة حرارة الشمس عن 600 ألف درجة عن سطحها و 20 مليون في باطنها.
- كتاب «إنه الحق» للمشيخ عبد المجيد المزنداني ص 67. مطبع المحرابي.

٥- وأن وراء كل اكتشاف من هذه الاكتشافات جائزة نوبل.